

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال مؤلفه عبيد الله سبحانه محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله
الوفرائي النجار المراكشي الوجار جبر الله صدعه وسكن روعه :

الحمد لله المتعالى عن تواريخ الازمان ملكه . المتقدس في ملكوته عن الامثال
وكيف لا وكل ما في الكون ملكه . القديم الذي لا يبدل سلطانه ولا يتحول . المدبر
الذي ليس بساير على شئ . من خلقه ولا ناس . القائل وقوله الحق وتلك الايام
نداونها بين الناس . فنجوم الاملاك ما بين شارق وغارب في افلاك الدول .
الباقى الذي كتب على خلقه الفناء ووسمهم به على الخرطوم . وقادهم لسكى
الاحداث قود الجمل المخطوم . فلا ينفع في عبور حقيقة مجازه مختصر السعد
والمطول . نحمده سبحانه ان ذلل لنا الاقلام فغاصت في بحر ظلمات الخابر على
الدرر . وملكنا بها تدى العلوم فاحتلنا منها اباريق الدرر . وارتضينا من شرف
العلم ما كل شرف سواء مؤمل . والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد
الذى رفع الله به عن امتّه الحرج والنصب . وجمع فيه جميع الفضائل ولولا
عجائب صنع الله ما اجتمعت في لحم ولا عصب . المصطفى من بنى هاشم شم
الانوف من الطراز الاول بعثه الله ومملكة الكفر لا تزدد الا انتصاراً . فقل
عروشها وقال ان كنت رجلاً لقيت اعصاراً . ودرس رسمها وهل عند رسم

دارس من معول . والرضى عن آله واصحابه الذين اطلعهم الله بنجوه في
سماء هذه الملة . واعطاهم من الكتاب الكافية جمع اكثره بجمع القاة .
وخولهم من كرامته ما خول .

اما بعد فان علم التاريخ من اشرف العلوم . ومكانه من العلوم الشرعية معلوم .
وما زال الجهابذة الاخبار . يقطعون نفايس اوقاتهم في جمع الاخبار . ويعتنون
بمسائلها ويرونها من اسنى ما يدخر . ويقدمونها ولا يقولون الاصل في الاخبار
ان تؤخر . ولا شك ان النظر في ملاح النوادر . فيه تنشيط للافكار السوادر .
واتي لم ازل منذ علقت تيمة التمييز في عضدي . وجعلت سوار الطلب في زندي .
متشوقاً الى اخبار الدولة السعدية . وسائلاً هل استشقى احد تفحات اخبارها
الوردية . فلما لم ار الا محيياً بلا . تيقنت ان رسم العلم غيره البلاء . وقمت منتهزاً
الفرصة . ومفرغاً على خاتم السبق من الافادة فصة . علماً مني باي ان احسنت في
التدوين . وذبحت خوان الاخبار بما يشتبهى من التلوين . كان ما اتيه من الاصابة
والتايد . والا كنت محرراً لهمة غيري ومعيناً له على التقيسد . وفي كلا الحالتين
فالتجارة رابحة . وهمة النفس في لجنة الخير ساجحة . وقد كنت بدا لي ان الم بدولة
بنى وطاس . واواخر بنى مرين . بما يكون ذيلاً لروض القرطاس . وروضة
النسرين . فرايت الدولة السعدية عناية اهل زمانها بها اكثر . والاقتصار عليها لا
يكون بها تاريخ الملك ابر . وسميت هذا الموضوع . الذي حديثه حسن صحيح
غير موضوع . زهرة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي . وهذه الدولة السعدية
وان كان ابتداءها عام ستة عشر من القرن العاشر . لكن اتما ظهرت واتسعت
اياتها في آخر العاشر واول الحادي . فلذلك ادرجناها في الحادي . وما قارب
الشيء فهو له في الحكم محادي . واعلم اني التفت هذا التصنيف . من عدة
كتب تزدي بزهور الروض المنيف . وسوف اعين لك في الاخر اسماءهم .
وانصب مدارج الامالة لمن اراد ان يرقى سماءهم . فحدير لمن سرح فيه
الحاظه . ان يسامح نسيجه ولا ينتقد الفاظه . ولا يكون من قوم الجمل الحسد

الستهم ، واطال على فراش العصية استتهم ، لآكن السلامة من الخلق قضية في
المحال مفروضة ، واعراض الاشراف لم تزل بالسنة المئام مقروضة ، والله
يغينا في ذاته عن الهجو والقديح ، ويجعلنا بمن يرى ان كلام الخلق كله شبه
المديح ، وهذا اوان الشروع في المقصود والمرام والله المعين بمنه وكرمه
على التمام

ذكر الخبر عن نسبهم الشريف

وما قيل من تنكير وتعريف

امّا عمود نسبهم فقد ذكره غير واحد من المؤرخين ورفعهم من لا يحصى
من الشيوخ المعبرين وهذا نصه : محمد المهدي بن محمد القايم بامر الله بن عبد
الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمد بن ابي القاسم بن محمد
بن الحسن بن عبد الله بن محمد المدعو ابي عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن
علي بن الحسن بن احمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمد الملقب بالنفس الزكية
بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن امير المؤمنين علي
بن ابي طالب كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قال الشيخ الامام العلامة ابو العباس احمد بن القاضي في كتابه
المتقى المقصور على مآثر خلافة السلطان ابي العباس احمد المنصور اطلعي على
هذه النسبة الشريفة ابو العباس احمد بن يحيى الهوزالي قائد قواد ولي عهد
المنصور مولانا ابي عبد الله محمد المامون وبمثل هذا حدثني شيخنا ابو العباس
احمد بن علي المنجور وحدثني شيخنا ابو راشد يعقوب بن يحيى اليدري انه
راى هذه النسبة ايضاً مكتوبة بخط ابي عبد الله محمد بن غالب بن حشار
وعليها استفأل القاضي ابي عبد الله بن علّال . وهكذا رايته بخط بعض

الاشراف من السعديين ايضاً واطن ان فيه بترأ بين قاسم ومحمد النفس الزكية
اذ ليس في اولاد النفس الزكية من اسمه قاسم وانما القاسم بن الحسن بن محمد
بن عبد الله الاشتر بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل الا ان هذا يقع
من ذهول الناسخ او جهله بحقيقة الامر والله اعلم وقوله واطن ان فيه بترأ
هو الصحيح اذ لا يعرف في اولاد محمد النفس الزكية القاسم اصلاً ولا عدّه
منهم ابو عبد الله المصعب الزبيدي ولا ابن حزم في جهرتهما ولا غيرهما من
النسابة الحفاظ والذي ضعفه الشيخ المناوي في نسبهم انهم من اولاد عبد
الله الاشتر بن محمد النفس الزكية لان النفس الزكية وان كان له اولاد خمسة
عبد الله الاشتر وعليّ والحسين بالتصغير والظاهر وابراهيم كما عند مصعب او ستة
كزيادة احمد مع تكثير الحسين كما عند ابن حزم حسبما سبق لكن قال الشريف
المنكي السمرقندي في تحفة الطالب انه لم يعقب الا من ولده عبد الله الاشتر
المنقول في كابل من ارض السند وان الاشتر لم يعقب الا محمداً المولود بكابل .
قال واعقب محمد هذا على الصحيح ولده الحسن الذي يقال له الاعور وكان
اجود بنى هاشم وقتل أيام المعتز العباسي واعقب الحسن الاعور هذا اربعة
رجال وهم ابو جعفر محمد وابو عبد الله الحسين بالتصغير وقد انقرض عقبه
في المائة السادسة وابو محمد عبد الله وقد كثر في ولده الادعياء فيجب الاحتياط
في اثبات من ينسب اليه والقاسم ولكل من الثلاثة عقب

قال الشيخ المناوي بعد نقل كلامه فتيين من هذا ان القاسم الموصول في
عمود النسب المذكور بمحمد النفس الزكية ليس هو بابنه المباشر وانما هو ابن
الحسن الاعور بن محمد الكابلي بن عبد الله الاشتر بن محمد المهدي وهو النفس
الزكية وفيه اسقاط بين القاسم ومحمد النفس الزكية بثلاثة ابناء والله اعلم . وما
ذكره صاحب المنتقى من ان محمداً القايم هو ابن عبد الرحمن بلا واسطة كذلك
يوجد في بعض الكتب وليس بصواب بل هو القايم بن محمد بن عبد الرحمن
فاسقط محمداً القايم بن عبد الرحمن وقد وقفت على رسالة بخط الامام النظار

ابي عبد الله محمد بن القاسم القصار بعث بها الى السلطان ابي العباس المنصور في هذا المعنى نصّها سلام الله ورحمته وبركاته على مولانا المنصور نصره الله نصراً عزيزاً وادام الخلافة فيه وفي ذريته الى يوم الدين يقبل بباطكم عبدكم محمد القصار زاده الله من رضاكم وسمع ان في النسب الكبير العظيم ثلاثة محمد بن فبذل التثنية بالجمع ويحمل على اقله اذ لو كان أكثر لين ويقال احمد محمد ج عبد الرحمن وقال العبد الضعيف

روى ابو داود ثم الحاكم	ما صحّ عن بعث المجتد اعلم
براس كلّ مائة وابن الرسول	شرط في الحديث فالغير يزول
ولم تر ابناً جدّ الدين سوى	امامنا المنصور فالكفر ثوى
بخيله وناره احيا العلوم	واهلها وكتبها على العموم
في كلّ يوم جوده على الشريف	مع الاسير والفقير والضعيف
اما المساجد فكالجنّات	حسناً وتديساً على الساعات
ابقاه ربنا لاحيا الدين	في قوّة وغلب متين

ولو علمت يامولاي انّ احداً يحبكم أكثر مني ما عدت نفسي من المسلمين . انتهى بخطّه و اشار بقوله فبذل التثنية الخ الى انه يقال عند سرد هذا النسب احمد المنصور بن المحمدين بصيغة الجمع واقلّ الجمع ثلاثة او يكتب احمد محمد وبعده جيم لان تقطعها ثلاثة كل ذلك فراراً من التصحيف وكذلك ايضاً من التصحيف اسقاط ذكر محمد بن ابي عرفة فانّ عقب النفس الزكية انتهى ينبوع النخيل الى السيد القاسم والسيد عبد الله ابني محمد بن ابي عرفة حسبما ذكره الشيخ النسابة ابو عبد الله الازورقاني في كتابه الدوحة وهؤلاء السادات يقولون ان اصل سلفهم وفد على المغرب من ينبوع وانهم ابناء عم السادات الاشراف اهل سجلماسة وانّ السيّد الحسن بن قاسم الداخل بلاد سجلماسة كما سيأتي ان

شاء الله هو ابن عم جدّهم الداخل لدرعة وهو زيدان بن احمد بن محمد والد قاسم والد الحسن الداخل ولذلك قال في المنتقى لا خلاف أنّ نسبهم اصحّ شرف اهل المغرب لأنّ اصلهم من شرفاء النُبوع وقصّة اتيانهم من النُبوع الى درعة اذ اتى بهم اهلها من هناك كما اتى اهل سجلماسة ببني عمّهم قبل ذلك وحكايتهم شهيرة بين المؤرّخين فلا نطيل بذكرها . و اشار بذلك الى ما يزعمه السعديّون من أنّ اهل درعة كانوا لا تصالح ثمارهم وتعتريها العاهات فقبل لهم لو اتيتم بشريف الى بلادكم كما اتى به اهل سجلماسة الى بلادهم لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم فاتوا بالسيّد زيدان بن احمد من النُبوع كذلك فصلحت ثمارهم الا أنّ من الناس من يطعن في هذا ونقل ذلك عن الامام الحافظ الحجّة ابي العباس احمد المقرّي التلمسانيّ ولكن صرح غير واحد من فقهاء دواتهم بصراحة نسبهم وسلامة جبرئومتهم من الطعن وقال به غير واحد من الايّمة المقتدى بهم كالامام المنجور وابي يوسف يعقوب اليدريّ والامام ابي العباس احمد بن قاسم الصومعيّ والشيخ ابي العباس سيّدي احمد بابا السوداني وقال ابن عرّضون أنّ نسبهم في غاية الشهرة فلا مطعن فيه ولعلّ ما نسب للمقرّي من تصحيح أنّهم من بني سعد لا من قريش لا يصحّ عنه فانه صرح في كتابه فتح الطيب بشرفهم وهو من اخر ما ألف بل ألفه في بلاد الشام وفي نوازل قاضي الجماعة ابي مهديّ عيسى بن عبد الرحمن السجستانيّ من جملة سوال كتب به اليه الفقيه الصالح ابو زيد عبد الرحمن التامسانيّ وهو يقول ولا شك أنّ مولانا عبد الله مجمع على عدالته وبيعته وقد اخبرني الثقة من اصحاب الشيخ الجامع القطب الكبير ابي العباس سيّدي احمد بن موسى السملاليّ انه قال مولانا عبد الله ياقوته الاشراف هو صالح لاسطان . وناهيك به شهادة على صحّة شرفه وعلو طبقتهم في العدل وستاتي هذه الحكاية في محلّها باتّما هنا وقد ألف في خصوص دولتهم جماعة كالفقيه المشارك لسان المغرب ابي فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتاليّ وسمّى كتابه مناهل الصفاء في اخبار

الملوك الشرفاء قال في نفح الطيب وعهدي به انه اكمل منه ثمانى مجلدات وكذلك
الف فيهم الكاتب البارع ابو عبد الله محمد بن عيسى وسمى كتابه الممدود
والمقصود من سنا السلطان ابي العباس المنصور قال في نفح الطيب ايضا وهذه
التسمية وحدها مطربة . واعلم انه جرى على الالسنه وصف هولاء الاشراف
بالسعديين ولم يكن لهم هذا الوصف في القديم ولا وقعت تحليتهم به في ظهائرهم
وسجلااتهم وصدور رسائلهم بل كانوا لا يقبلون ذلك ولا يجترى احد على
مواجهتهم به لانه انما يصفهم بذلك من يطعن في نسبهم ويقدر في وشيخ اصلهم
ويزعم انهم من بنى سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية ظئر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من العامة واخوانهم من الطلبة يعتقدون
انهم انما سمو بذلك لان الناس سعدوا بهم ونحو ذلك مما لا معنى له وقد
وقفت على رسالة بعث بها مولاي محمد الشيخ الاضر بن مولانا زيدان الى
الامير مولاي محمد بن مولاي الشريف الحسنى السجلماسى ومن فصولها ان
قال له بلغنى انك تغلى في النوادي من الحواضر والبوادي ان جرثومة اثمنا
لبنى سعد بن بكر بن هوازن مع انهما من بنى نزار بن معد وافية المكائيل
ثقيلة الموازين وابنا من تدسى احد القصور بوادي درعة ومنها انبت الله اصلنا
فازهر واثمر فرعه فان كان غرضك حط منطقة قدرنا من النسب فمهدنا من
الغلاء عليك عار وان تحاول محونا من صحيفة الحسب فتلك ايضا دعوى لا
تغلى ولا ترخص علينا سوايق الاسعار وقد صرفنا لك نسخة من ماهر الصفاء
في اخبار الشرفاء ليطلع انظارك الملوك على ما يزيل ما في خاطر من اشراك
الشكوك فاجابه مولاي محمد بن الشريف عن هذا الفصل بان قال له وعتابكم
اننا عزيزناكم لبنى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور وناشرون ذلك في الحلل
والمدن والقصور تالله ما فهمنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهل بكم ولا بان
نضيفكم لمن لا عشرة له ولا اهل بل اعتمدنا في ذلك بعون الله على ما نقله
المؤرخون لخبار الناس من علماء مراکش وتلمسان وفاس ومكناسة الزيتون

ولقد ائمن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم الا من بنى سعد بن بكر ولا معول على كتاب احد من الفشائلة ولا السيد احمد بن القاضي المكناسي ولا ابن عسكر الشريف الشفشاوني ولقد بلغتنا نسخة من مناهل الضياء فلم نجد فيها مؤرخاً صور وصفا وكفى في الظاهر والباطن قول الثقة مولانا عبد الله بن علي بن طاهر ومع هذا فلم نعتد دفعكم عن شرف النسب ولا رفعكم عما رسمكم الله به من زينة الحسب . انتهى الغرض من هذه الرسالة وستاتي ان شاء الله في موضع اليق بها من هنا و اشار بقوله الثقة مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الى ما يحكى شائعاً ان السلطان ابا العباس المنصور كان يوماً جالساً مع الفقيه الورع الزاهد ابي محمد مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني احد السادات السجماسيين وبين يديهما خوان ياكلان منه وذلك بقصر السلطان المذكور من حاضرة مراکش امنها الله فقال السلطان لابي محمد اين اجتمعنا يعنى في النسب فقال له ابو محمد في هذا الخوان ويروى في هذا المشور فاستشاط له السلطان غضباً واسرها في نفسه الى ان احتال على ابي محمد بما كان السبب في تجرعه كاس الثون فكان المنصور بعد ذلك ينادي ابا محمد فيجلس هو على الرخام في زمان كلب البرد وهيجانه من غير حائل وقد اتخذ المنصور لبدته صوف داخل سراويله ولا يحس معها البرد فاذا رآه ابو محمد جالساً معه تجلّد واستحيا ان يقوم من موضعه والسلطان معه وهما يتفauضان في مسائل العلم فعمل به ذلك مراراً وأياماً حتى سكنت علة البرد في جوفه فلم يبرح ابو محمد يشكى من ضررها الى ان قضت عليه وجواب ابي محمد من النوع البياني المسمى عندهم بتلقى المخاطب بغير ما يترقب على ما هو ميتين في الكتب البيانية وأما سالة السلطان المذكور لما تقدّم أولاً من ان هولاء السعديين يزعمون انهم لم يجتمعوا معهم في قبيل ولا دبير والله اعلم لكن صح لنا غير واحد من اشياخنا ان الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الانكار وان السلطان ابا العباس المنصور اطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الامام ابن عرفة وشيخه ابن عبد السلام

بشوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن طاهر لذلك فكان بعد ذلك يصرح بصحة نسبهم ويزجر من يطعن فيهم وامامة ابن طاهر وعدائته شهيرة وكذلك صرح بصحة نسبهم الامام العلامة مفتي الحضرة المراكشية ابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف الحسني الفلالي وهو من بنى عم ابي محمد بن طاهر المذكور وله في المنصور امداح يعلن فيها بشرفه مع أنه كان من اهل العلم والدين والتحفظ فيما يكتب ويقول وعلى ما ذكرنا عنهم وأن جدّهم قدم من الينبوع قال ابن القاضي في درّة السلوك أن جدّهم قدم من الينبوع واستقرّوا اوائلهم بدرعه فسكنوا بها وذلك في مبدا الماية الثامنة وفي هذا العهد قدم جدّ شرفاء سجدلماسة ايضاً كما سيأتي ان شاء الله هذا بعض ما يتعلّق بنسبهم الشريف وقد ضربنا صفحاً عن مطاعن هنا راينا الاعراض عنها أولى اذ من شرط المؤرّخ ان لا يتبع العورات ولا يهتك الاعراض والله المسئول ان يمسّن علينا بالستر دنيا واخرة بمّنه وكرمه امين

ذكر كيفية اتّصالهم بالملك

وسبب ركوهم الفلك

قال صاحب درّة السلوك لم يزل اسلافهم مقيمين بدرعة الى ان نشأ منهم ابو عبد الله محمد القايم بامر الله فنشأ على عفاف وصلاح وحجّ بيت الله الحرام وكان محجّ الدعوة ولقي جماعة من العلماء الاعلام والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين اخبرني بعض الفضلاء أنه لقي رجلاً صالحاً بالمدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام فاشار له بما يكون منه ومن ولديه وكان راي رؤيا وهي ان اسديّن خرجا من احليله فتبعهما الناس الى ان دخلا صومعة فوقف هو ببابها فتبّرت رؤياه بأنّه يكون لولديه شان عظيم وأنهما

سيملكان الناس ثم رجع الى المغرب وهو مضر للدعوة ويقول في كل محفل انّ ولديه سيملكان المغرب ويكون لهما شان عظيم من غير تردد منه ثقة بقول الرجل الصالح وتفسير رؤياه المذكورة فما زال الى ان قام في سنة خمسة عشر وتسعمائة وايضاً من معنى تلك الرؤيا المذكورة ما يحكى شائعاً ان ولديّ ابي عبد الله القايم وهما ابو العباس احمد الاعرج واخوه محمد المهديّ كانا يقصران المقرآن بمكتب وهما صبيان صغيران فدخل ديك فوثب على راس كلّ منهما وصاح فأول ذلك مؤدبهما سيكون لهما شان عظيم فكان الامر كذلك وقال شارح زهرة الشماريخ كان السبب في قيام ابي عبد الله القايم ان اهل السوس احاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كلّ جهة حتّى اظلم الجو واستحكمت شوكة الروم وبقي المسلمون في امر مريع لعدم امير يجتمعون عليه وتجتمع به كلمة الاسلام لانّ بنى وطاس كانت قد فشلت ريج ملكهم في بلاد سوس واما كان لهم الملك في حواضر المغرب ولم يكن لهم من السلطنة بسوس الا الاسم مع ما كانوا فيه بنو وطاس ايضاً من معاناة قتال الكفار بغير اصيل والعرایش وطنجة وبادس وغيرها من الثغور والمراسي فلما رآى اهل السوس ما دهمهم من تفاقم الاهوال وطمع العدو في بلادهم ذهبوا الى الشيخ الوليّ الصالح ابي عبد الله محمد بن مبارك فذكروا له ما هم فيه من انتشار جماعتهم وافتراق كلمتهم وكلب العدو على مباكرتهم بالقتال ومراوحتهم وطلبوا منه ان تجتمع كلمتهم عليه ويعقدون له البيعة ويقوم بامر الناس في امضاء الحكم عليهم وجمعهم لقتال عدوهم فابى من ذلك وامتنع منه كلّ الامتناع وقال لهم ان رجلاً من الاشراف بتاكمادارت من بلاد دبرة يقول انه سيكون له ولولديه شان فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان انسب بكم وأليق بمقصودكم فبعثوا اليه واتى اليهم وكان من امره ما كان . ورايت بخط الفقيه العالم العلامة الحافظ ابي زيد سيدي عبد الرحمن ابن شيخ الجماعة ابي محمد سيدي عبد القادر الفاسي ما صورته ذكر لنا الوالد عن سيدي احمد بن سيدي عليّ السوسي البوسعيدّي ان ابتداء

دولة الشرفاء بسوس سببها أن بعض السادات وهو سيدي بركات توسط في فداء بعض الاسارى فاراد ان يكون اتفاقه مع النصارى على ان لا يقبضوا اسيراً فكلّمهم في ذلك فقالوا له حتى يكون لكم امير فان ملككم ذهب واضمحّل قال ثم ان بعض اهل سوس سار الى قبيلة جسيمة يكتال القوت فاخذهم جسيمة واكلوا بضاعتهم وامتعهم فذهبوا الى شيخهم وكان ذا حزم وتدين فردّ لهم كلّ ما خاع لهم حتى لم يبق لهم شيء فلمّا رجعوا الى بلادهم قالوا ان هذا الشيخ الرئيس هو الذي يليق ان نبايعه فاجتمعوا واتّوا فطلبوه ان يرأسهم فامتنع واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الامر للدين ودلّهم على رجل شريف كان مؤذناً بدرعة فقال لهم ان كان ولا بدّ فاقصدوا الشريف الفلاني فانه يذكر ان ولديه يملكان المغرب فقصدوه واستصحبوه الى بلادهم وفرضوا له ما يكفيه ويكفي اولاده من المؤنة وبقي عندهم في نحر العدو هنالك الى ان كان منه ما كان وسيدي بركات المذكور هو الوليّ الصالح بركات بن محمد بن ابي بكر التدسي ورايت بخطّ بعض الفضلاء انه هو الذي ادخل الشرفاء لسوس سنة سبعة عشر وتسعمائة . وفي الدوحة لابن عسكر في ترجمة ابي عبد الله محمد بن المبارك المذكور قيل انه الذي امر قبائل السوس بالانقياد الى السلطانين الشريفين ابي العباس احمد الاعرج واخيه ابي عبد الله محمد الشيخ وامرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله لما راي النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد فكان من امرها ما هو معلوم . وفيه بعض مخالفة لما ذكر قبله لان ما ذكره شارح الزهرة يقتضي ان ابن المبارك اتّما حَضَمَ على مبايعة ايّهما ابي عبد الله القائم بخلاف ما ذكره في الدوحة ولعله امرهم بالانقياد للجميع والله اعلم وابن المبارك هذا من اكابر الاولياء المشاهير من اهل التصريف بالعيان كان زياراً ببلاد آق وزاويته هناك شهيرة الى الان وكان رحمه الله قطعيّ الولاية عند اهل السوس وظهرت له كرامات عديدة منها ان نفراً من القبائل قدموا عليه بقصد الانكار فامر الشيخ ان يطبخ لهم العصيدة في قفاف من عسف الجريد

فجعلت القفاف على النار وأوقد عليها إلى أن طبخ لهم ما أمر به الشيخ
والناس ينظرونه جميعاً ومن ذلك أن جعل لهم ثلاثة أيام في كل أسبوع في كل
شهر لا يحمل أحد فيها سلاحاً ولا يتعرض بعض القبائل فيها لبعض ومن
انتهك فيها الحرمات عجلت له العقوبة حتى ذكروا أن أعرابياً قبض في تلك
الأيام على يربوع فقال له بعض أصحابه أطلقه فهذا يوم من أيام عافية سيدي
محمد بن مبارك فإني أعرابي وضرب اليربوع فكسر رجله فما هو إلا أن صاح
الأعرابي يا ويحاه كسرت رجلي فما مشي عليها بعد وكراماته كثيرة ولما ثبتت
ولايته عند القبائل السوسية اذعنوا له وانصتوا لقوله فأمرهم بالاجتماع على ما
ذكرنا والله أعلم وفي الدوحة أيضاً في ترجمة الشيخ الأكبر العالم الأشهر أبي
محمد عبد الله بن عمر المطغري دفين درعة ما صورته وكان السلطان أبو عبد
الله محمد الشيخ وأخوه أبو العباس الأعرج من تلامذته وبسبه كانت دعوتهما .
وهذا مخالف لما تقدم أيضاً إلا أن يتأول على أن كلا من ابن المبارك وابن عمر
وغيرهما حض على مبايعتهما أو ابن المبارك بالسوس وابن عمر بدرعة ونواحيها
وفي مرآت المحاسن أن السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء
كان يتوهم من مشايخ الفقراء ويخاف منهم لدخولهم الملك من بابهم . وقد
اتفقت كلمة أولئك الأسياد على أن أبا عبد الله محمد القاسم إنما كان نهوضه بإشارة
من الصالحين واذن من العلماء العاملين وكفى ذلك شاهداً على صحة نسبه
الشريف عندهم وألا لما خصوه بالإمامة العظمى التي لا يتمطق حرمتها إلا
شريف النسب قرشي الحنيد هذا ما وقفت عليه في سبب اتصالهم بالملك وقد
تركت أخباراً ولعت بها العامة في ذلك ورأينا إخلاء كتابنا منها أولى والله
يهادي من يشاء إلى صراط مستقيم . لطيفة رايت بخط الفقيه الاستاذ مؤدب أولاد
الملوك أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغى رحمه الله ما نصه كان سيدي علي بن
هارون يأخذ دولة الشرفاء أهل درعة من قول الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . ولم يبين كيفية الأخذ لذلك

من الآية الكريمة ثم رايت في الرحلة لشيخ شيوخنا الفقيه العلامة العالم الامام ابي سالم عبد الله بن محمد العياشي ما صورته حدثنا شهاب الدين ابو العباس احمد بن التاج ان السلطان سليماً العثماني أحد ملوك الترك وهو أول من ملك مصر منهم وانتزعها من يد السلطان الغوري سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وذلك أنه لما ملك الشام اراد ان يتمك العراق لأنها مساكن اسلافهم الترك فلما اراد التهوض لذلك من الشام تعذر عليه الحال لقلة الاقوات وغلاء الاسعار فكتب لسلطان مصر الغوري المذكور يستأذنه في الامتياز من بلده وكان الشاه ملك العراق في ذلك الحين لما سمع بتحريك السلطان سليم اليه كتب الغوري وكانت بينهما صداقة يطلب منه ان يشغله عنه وان يشبطه ما استطاع وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان سليم واقفة من تملكه لبلاد الشام وخشي ان اتسع ملكه ان يتولى على مصر ومصر اذاك هي أم البلاد الاسلامية وملكها اعظم الملوك لانتقال الخلافة العباسية بعد واقعة التتر من العراق الى مصر وغيرها وعند ما طلب السلطان سليم من الغوري الميرة تعال له بان ذلك لا يمكن في هذا الوقت لغلاء الاسعار واعتذر باعذار ضعيفة ففطن سليم لمقصده وعلم أنه انما اراد تعويقه عن السير الى العراق فحدثته نفسه بالوثوب عليه وصرف العنان عن غزو العراق الى غزو مصر فاستشار في ذلك كل من كان في حضرته من العلماء وذكر لهم عذره وان الغوري منعه التزود من بلاده وهو محتاج الى الزاد فكلهم قالوا ان ذلك لا يبيح لك قتاله لأنه ملك بلاده ولم يخلع لك يدًا من طاعة ولا بدالك بحرب فكيف يجوز لك الهجوم عليه في بلاده ومحاربتة بلا سبب وكان من جملة العلماء الحاضرين المحقق ابن كمال باشا وكان اصغرهم سنًا فقال له أيها الامير انه يباح لك غزوه وفي كتاب الله انك تدخل مصر من هذه السنة فقال له وكيف ذلك فقال له لا افتي بين يدي هاولاء الائمة وهم مشايخ الاسلام حتى تؤجلهم سبعا لينظروا وليتذكروا فان الله سبحانه وتعالى قال ما فرطنا في الكتاب من شيء فكيف لا تكون هذه النازلة

في كتاب الله الذي فيه بيان كل شيء فقال له سليم اني اجلتكم سبعا لتبحثوا عن صحة ما قال فقالوا كلهم ايها الامير ما كان جوابنا الان هو جوابنا بعد سبعة فقال ابن كمال لا بد من التأجيل وقصده والله اعلم اظهار مزيتة عند الملك وانه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التأجيل والتلوم اذ لو ابدا ما عنده في المجلس لرهبما ادعى ان ذلك يمكن الاهتداء اليه بالتأمل والتدبر فاجلبهم الامير سبعا فلما انقضت جمعهم وسالهم الامير فقالوا جوابنا فيما مضى هو جوابنا الان قال ابن كمال ايها الامير انهم ليقرءون في كتاب الله العظيم انك تدخل انت وبنوك وجنودك مصر في هذه السنة الا انهم لا يهتدون لفهمه فقالوا اين هذا فقال قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فضحكوا منه وقالوا اين هذا مما نحن فيه فقال ان قوله تعالى ولقد في قوة لفظ سليم بحساب الجمل فان كل واحدة من الكلمتين عددها مائة واربعون فتكون اشارة الكلام سليم كتبنا في الزبور من بعد عشرين وتسعمائة ان الارض يرثها لان الذكر عدده بدون الة لتعريف كما تقدم والارض في الاية الكريمة على قول كثير من المفسرين هي ارض مصر والعباد الصالحون في هذا الوقت هم جنودك اذ لا اصلح منهم في عساكر المسلمين في اقطار الارض لاقامتهم سنة الجهاد وفتحهم اكثر البلاد النصرانية وهم على مذهب اهل السنة والجماعة واما غيرهم من الاجناد اما من فسدت عقايدهم كاهل العراق واكثر اليمن والهند واما من ضعفت عزائمهم من اقامة شعار الاسلام كالمغرب واما من استولت عليهم الدنيا كاهل مصر وبالغ في تقرير هذا المعنى وسر السلطان سليم بقوله وسلم له الفقهاء حسن الاستنباط من لفظ الاشارة الا انهم قالوا ان هذا لا يكفي في اباحة قتال من لم يلح من طاعة ولا حارب احداً من المسلمين ولو كانت الاشارة القرآنية تدل ان هذا سيكون فلا بد من اظهار وجه تعتمده في الفتاوي الفقهية فقال ابن كمال ايها الامير ان هذا سهل ايضاً وذلك بان

تبعث للغوري وتقول له أتى لما قدمت الى هذه الاوطان ولم يتيسر الذي
 قدمت لاجله عزمنا على التوجه للحجاز لاجل فريضة الحج وليس لنا
 طريق ولا تزود الا من بلادكم فاردت ان تاذن لي في المرور والتزود فانه لا
 محالة مانعك وصادك عن المرور على بلاده فاذا صدك عن البيت
 جاز لك قتاله وصار محارباً فاستحسن الفقهاء رايه في ذلك لان الحيل في
 مذهبهم سايغة فكتب السلطان سليم للغوري بذلك فراجع الغوري بجواب
 سيىء وصرح بمنعه وقال له لا تشرب من نيل مصر جرعة ماء الا اذا مشيت
 على ظهور الموتى فتقوي اذا عزم السلطان سليم على غزو مصر وتهايا لذلك
 فكان ما كان من استيلائه عليه ودخوله مصر بالسيف فعظمت مرتبة ابن كمال
 عند سليم وخيره فيما شاء من الولايات فاختر الفتوى وتولاها وحسنت مرتبته
 فيها وتصدر لنشر العلم والله يتقبل منه انتهى نص الرحلة المذكورة وكان دخول
 السلطان سليم لمصر عام عشرين وتسعمائة كما قاله ابن كمال وما دخل مصر
 قتل الخليفة العباسي وبه انقرضت دولة بنى العباس وقتل جماعة من العلماء
 والصلحاء وكثيراً من المجاذيب وارباب الاحوال لان الغوري خرج بهم يستنصر
 بهم فلم يغن ذلك شيئاً عن قدر الله عز وجل قل فممن يملك من الله شيئاً ان
 اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعاً قلت فلعل الذي
 اخذ دولة السعديين من الاية يشير لاستباط ابن كمال فان شرفاء السعديين
 نبع امرهم في حدود العشرين وتسعمائة كما ياتي والعلم عند الله سبحانه ونظير
 هذا ما رايته بخط الفقيه قاضي الجماعة بالحضرة الاسماعلية ابي عبد الله محمد
 بن عبد الرحمن المجاصي قال استخرج بعض الاصحاب وهو السيد عبد الكريم
 السجلماسي الاربعة عشر مائة التي يقال لاتزيد عليها هذه الامة الماخوذ من
 كلام دانيال النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فقد جاء اشراطها